

العجز أمام الحقيقة والهروب إلى الأمام

## ملاحظات حول الصحافة العربية في الخامس من حزيران

الدكتور فيصل دراج

« لا تقدم الإيدولوجيا نظام العلاقات الحقيقية التي تحكم وجود الأفراد ، بل تقدم العلاقة الوهمية لهؤلاء الأفراد بالعلاقات الحقيقية التي يعيشون تحتها » .

التوسر

تحاول الدولة والتي هي الناطق الرسمي باسم طبقة منتصرة في حقل تاريخي محدد أن تدعم وتبرر وجودها بكل السبل والأشكال الممكنة ، أي أن تنشر وتثبت كل الأطروحات والمقولات التي تظهر شرعية وجود الدولة كقوة شمولية لا طبقية ، كقوة سرمدية تقف فوق الطبقات لتصالح وتلجم نزاع هذه الطبقات . بالإضافة إلى هذا تطمح الدولة وتناضل من أجل خلق وصياغة أفراد يسلمون بشرعية وجود الدولة كقوة الهيئة تعمل على صيانة النظام وتطبيقه . فمجال اللعبة هنا تحدده أذن ثلاثة عناصر : العنصر الأول تمثله الطبقة المسيطرة أو المجتمع السياسي في بحثها عن شرعية مستحيلة . والعنصر الثاني هو الشعب أو المجتمع المدني والذي هو حقل اهتمام المجتمع السياسي ، واهتمام هنا يعني ترويض المجتمع المدني وتحويله إلى كلية سلبية لا تعيق ممارسات الطبقة المسيطرة . لن نتكلم هنا عن الشكل الأول الذي تستعمله الدولة من أجل الترويض والمثل بالقمع الجسدي والإرهاب البوليسي ، وإنما سنتكلم عن الشكل الآخر من القمع : القمع الإيدولوجي . ونعني بالقمع الإيدولوجي الأثر الحاصل لدى الفرد من جراء تلقيه المستمر لأطروحات المجتمع السياسي والواصلة إليه من خلال آلة الدولة الدعائية ، أو ما يسميه غرامشي بالبنيان الإيدولوجي والذي هو « كل ما يؤثر أو يستطيع أن يؤثر بشكل مباشر أو لا مباشر على الرأي العام » (١) .

وهدف البنيان الإيدولوجي المباشر صنع أفراد لا يرون الواقع على حقيقته وإنما يرون صورة وهمية عن هذا الواقع (٢) ، وبالتالي فالفرد لا يرى موقعه الاجتماعي وواقعه المعاش انطلاقاً من محاكماته الحرة بل من خلال حزمة مفاهيم ضبابية محددة على المستوى الأخير بالبنيان الإيدولوجي ، معنى ذلك أنه يمتلك صورة مشوهة عن الواقع رسمت بحيث تخدم أولاً وأخيراً الطبقة المسيطرة . وكما يرى فإن الفرد هنا يقع ضحية للتجهيل والتضليل ويستحيل بالتالي إلى أنأخام عاجزة عن الفعل الصحيح لأنها لا تملك إلا انعكاساً شائعاً للواقع والعلاقات المحددة له . فالمعرفة المشوهة للعالم تولد وتفترز ديالكتيكا كياناً سلبياً لا يتحرك الا ضمن إطار محدد مسبقاً بمصالح الجهاز المسيطر .